التكوينات المعمارية وعناصرها الوظيفية والجمالية بالعمارة العثمانيــة بليبيا

(المدينة القديمة أطرابلس أنموذجاً)

أ. رافــع سليمان المنفــي ـ كلية الفنون والعمارة ـ جامعة درنة
rafaaalmnfy1984@gmail.com

المقدمـــــــــــة :

فـــن البناء والتعمير قديم قدم الإنســـان وهو في أصله تلبية لحاجة أساسية من حاجات الحياة ؛ لكنه في الوقت نفسه نتاج غني، ككل ما يصنعه الإنسان وينتجه، يعبر فيه عن ذوقه وفكره وميوله.[1]

لقد اختلف نتاج الإنسان وأوصافه باختلاف الزمان والمكان، وكان للثقافة والدين والبيئة دور في تكوين شخصية فنون الأمة. وهكذا كانت أعمال البناء من أهم مظاهر الرقي لدى الأمم والطابع المميز لحضارتها، وبذلك اختلفت الفنون وأصبح لكل منها خصائصه ومميزاته.

استفاد العرب المسلمون من الثقافات والأنماط التقليدية التي كانت سائدة في البلاد التي فتحوها في إشادة المباني والمنشآت، وذلك في الفترة الأولى من المدرسة الإسلامية، ثم ما لبثت أن تبلورت مدرسة فنية متكاملة تحمل هوية متجانسة على البلاد الإسلامية قاطبة، وصار من الصعب معرفة الأصول المقتبسة منها فتميزت من غيرها من المدارس الفنية.

ومرّ ذلك إلى عوامل مختلفة منها: العامل الديني، وهو أهم العوامل، أضفى الصبغة الإسلامية التي هي خلاصة للفكر والعقيدة الإسلامية على الأبنية الدينية والمدنية، كإشادة الجوامع وفق نظام وتخطيط معينيين يلبّيان الحاجة الوظيفية وتأدية الصلاة. والعامل الآخر هو العامل الجغرافي، وتشابه المناخ النسبي في أقاليم الإسلام حيث غلب عليها المناخ الصحراوي والمتوسطي فتشابه النسيج العمراني في تخطيط المدن، وعُرِف ما يسمى بالنسيج المتراص أو العفوي. وفي المجال المعماري اتصفت العمارة بالتصميم البيئي، وذلك بالتأكيد على انغلاق المباني من الخارج وانفتاحها على الداخل حول باحة مكشوفة حيث الهواء الطلق والماء والسماء والنباتات.

تميزت العمارة الإسلامية بغنى مفرداتها المعمارية، واهتمامها بالنواحي الحياتية جميعها، فظهرت المباني الدينية من مساجد ومدارس وتكايا وزوايا ، وأبنية مدنية كالدور والقصور، وأبنية عامة (كالمشافي) والخانات (محطات استراحة المسافرين)،

والحمامات والأسواق. كما ظهر الاهتمام بالحدائق والسبُل المائية على صعيد تخطيط المدن إضافة إلى العمارة العسكرية، وبُنيت القلاع والتحصينات والأربطة (قلاع دفاعية تقام على امتداد الشريط الساحلي).

لم يقتصر غنى العمارة الإسلامية على تنوع ماهيات الأبنية وموضوعاتها ؛ بل تميزت بغنى مفرداتها وعناصرها المعمارية ، فمن هذه العناصر القباب والقبوات والعقود بمختلف أشكالها (أنصاف الدائرية ، والمدببة ، والحدوية ، والمفصصة ...)، والأقواس والمآذن والمحاريب والأروقة ، والعناصر الانتقالية للقباب من مثلثات كروية ومقرنصات ، والفراغات الداخلية المكشوفة، والعناصر المائية فيها، والسُبل المائية الموزعة في أحياء المدن، والفسقيات (البحرات الداخلية)، والأواوين (غرف جلوس ثلاثية الجدران تطل على الفناء)، وعناصر الزخرفة المختلفة. وبرز شأن الكتابة العربية عنصراً زخرفيّاً في مختلف الأبنية ورمزاً من رموز الديانة الإسلامية، وهي لغة القرآن الكريم.

يتم التطرق في هذه الدراسة الى الجوانب الوظيفية والجمالية بالمعمار العثماني بليبيا والقاء النظر على اهم المنشآت المعمارية بهذه الفترات وهي نوعين (مساكن / ومبان عامة) والاعتماد على اخذ عينات عشوائية كأمثلة توضيحية ، ودراسة ما تحمله هذه المنشآت المعمارية من عناصر زخرفية وخامات بناء وزخرفة ، وكذلك عرض عينات عشوائية لأهم التكوينات الزخرفية بالعمارة العثمانية بطرابلس .

الكلمات المفتاحية :

(تكوينات معمارية –جماليات – وظائف – زخارف – خامات)

مشكلة الدراســـة :

تتميز العمارة الاسلامية عامةً والعثمانية بشكل خاص بالغنى الزخرفي الجمالى وتنوع الخامات والتكوينات المعمارية وكذلك التنوع الوظيفي للوحدات المعمارية ، الامر الذي جعل من هذا المجال مصدراً مهماً للدراسة والتقصي والتحليل وعرض اهم ما يتميز به المعمار العثماني بليبيا .

فروض الدراســـة :

يفترض الباحث :

1- للتأثير الديني (الإســـلامي تأثير واضح في الانتاج الفني بالمعالم المعمارية بالعمارة العثمانية بليبيا .

2- تحمل الحقبة العثمانية بليبيا مكونات معمارية متنوعة .

3- تنوع التكوينات واساليبها حسب الوظيفة والخرض المادي المصمم من أجله .

4- التنوع في العناصر الزخرفية حسب اماكنها (داخلية – خارجية) وحسب دورها الوظيفي .

5- الخامات المستخدمة يتم اختيارها فقاً لاماكن استخدامها ومعالجاتها ومقاومتها للبيئة

أهـــــداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى .

1- عرض أهـم المعالم المعمارية بليبيا (أطرابلس القديمة نموذجاً)

2- عرض وتحليل اهم التكوينات المعمارية والوحدات المكونة للمعمار .

3- دراسة اهم العناصر الزخرفية المستخدمة بالوحدات الزخرفية .

4- دراسة وتحليل لاهم الخامات المستخدمة في البناء والزخارف الفنية .

أهمية الدّراســـــــــة:

تكمن أهمية الدارسة في عرض وتحليل اهم المعالم المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية والاستفادة من جمالياتها ودعم المكتبة الفنية على المستوى المحلى والاقليمي .

المنشآت والمجمعات المعمارية بالعهد العثماني والقرمانلي بليبيا :

تنوعت المنشآت والمجمعات المعمارية بالعمارة العثمانية بليبيا حسب وظائفها، فاختلفت باختلاف النشاط المزاول داخلها ، فمنها المنشآت الدينية والمدنية والسياسية ، وسيتم التطرق لدراسة عينات عشوائية من هذه المنشآت كنموذج للتكوينات المعمارية العثمانية بطرابلس.

أولا ـ مبانِ سكنيـــــة : تزخر مدينـــة طرابلس القديمة بعدد من البيوت التاريخية الجميلة التي كانت سكناً لرجال الدولة وذوى المناصب والنفوذ ، وتعد منطقة الأربع عرصات وشارع جامع الدروج وما يجاورهما الحى الأرستقراطي بالمدينة ، وبالتالي تحمل هذه البيوت طابع الفخامة و الاتساع – إلى حد ما – مقارنة بغيرها من البيوت.

1 ـ دار القاضـــي (حـــوش الباشوات)*: ومبنى دار القاضـي هو أحد مبان هذه المنطقة الذى حمل مفردات معمارية جميلة أهلته لعديد من الوظائف عبر الفترات المتعاقبة و لكون القضاء كان له دور في أبرز المراحل التاريخية للمبنى والذى ارتبط به إلى الآن. ويقع مبنى المحكمة الشرعية " دار القاضي " في أحد اهم شوارع المدينة القديمة وأشهر محاور الحركة الهامة بها وهو شارع جامع الدروج. حيث يوجد به أكثر من مبنى هام من مساجد و مساكن و مرافق عامة مثل (حوش القرمانلى – حوش محسن – كتاب و جامع حورية – جامع الدروج ... الخ)

(تبلغ مساحة المبنى الكلية 964م2 ، مساحة المبنى الرئيسي 786م2 المسقوف منه 680م2 ، أما مساحة المبنى الملاصق (حـــوش الخدم) فتبلغ 178 م2) [2] ،

وتحتوى الواجهة الرئيسية على عدد كبير من الفتحات (نوافـــذ وأبـــواب) ، تحيطها الحليات المعمارية البارزة (القرنيزات) ، و كذلك العناصر الزخرفية سواء كانت معدنية أو حجرية ، وقد أعطى التنسيق في الواجهة والارتفاع المتبع في توزيع الفتحات جمالاً للواجهة وللشـــارع الموجود فيه وكذلك طلاء الواجهة باللون الأبيض والفتحات باللون الأخضر اعطاهما ترابطاً للألوان العامة بواجهات مباني المدينة [3] ، كما بالأشكال (1 - 2) .

شكل رقم 1 / احدى واجهات دار القاضي

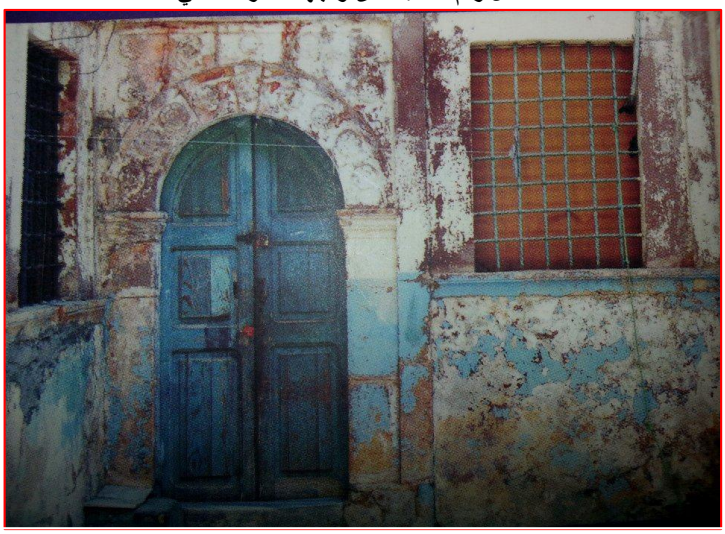

(عن كتاب دار القاضي – حوش الباشوات)

شكل رقم 2/ إحدى نوافذ دار القاضي

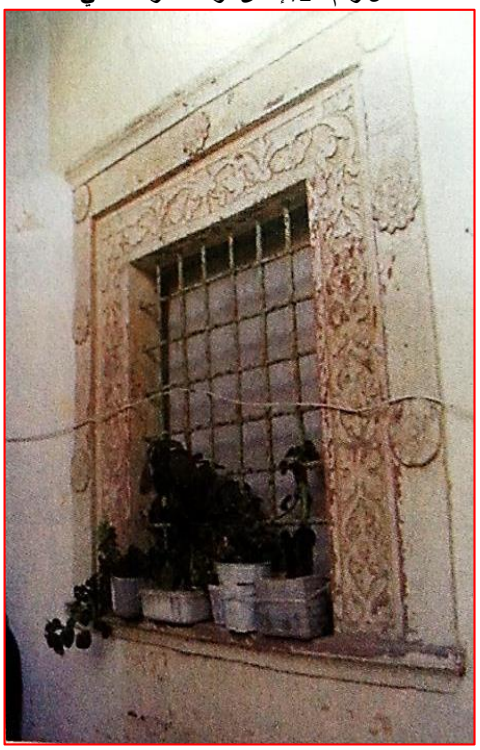

(عن كتاب دار القاضي – حوش الباشوات)

2 ــ حـــــوش القره مانلي : حوش القره مانلي أو منزل القره مانلي هو منزل أقرب إلى قصر يؤرخ تاريخ انشائه إلى أوائل القرن التاسع عشر بناه يوسف القره مانلي، وقد حكمت أســـرة القره مانلي طرابلس) وعموم ليبيا (منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر .وبسقوط تلك الأسرة صار القصر بعد ذلك (الحوش) حاليا مفتوح للزوار حيث يقدم عرضا لمحتوياته ولأسلوب الحياة الذي كان يتبعه قاطنيه السابقين. يعد هذا الحوش من اجمل المنازل بمدينة طرابلس وقد عرف في العهد القرمانلي باســم حوش الحريم .[4] شكل رقم (3)

شكل رقم 3 / مشهد داخلي لفناء حوش القراه مانلي

(عن موقع انترنت https://ar.wikipedia.org/wikiD)

ثانياً : مبانٍ عامة .

1 ـ الجـوامـــع : إن الجوامع في أي مدينة تعتبر من أهـــم المنشآت المعمارية التي تميزها سواء من حيث ان الجامع يعبر عن الجانب الروحي والديني للمدينة ، او انها في مجموعها تظهر الجوانب العمرانية بما تمثله من بروز في مواقعها وما تحمله من اتقان في بنائها ونظام في طابعها المعماري واسلوب زخرف وتجميل .[5]

أ . جامع مصطفى قرجي : بنى هذا الجامع مصطفى قرجي (1833 م) حيث تبين اللوحة التذكارية الموجودة فوق المدخل وبان قرجي هو مؤسس هذا الجامع وهذا الجامع يشبه في بنائه جامع احمد باشا القره مانلي .[6]

يعتبر جامع قرجي تجمعا منوعا من الاعمال الفنية المختلفة التصميمات والخامات حيث استخدم الرخام والجص وكسيت جدران بيت الصلاة فيه من الداخل والخارج ببلاطات القاشاني ، من مختلف الأشكال والألوان والأحجام ، ويعتبر الجامع متحفا يمثل القرن التاسع عشر[7]

والأشكال (4- 5 - 6) توضح بعض الصور العامة لجامع قرجي.

شكل رقم 4 / يوضح جدران جامع قرجي مكسية باللوحات الخزفية (القيشاني)

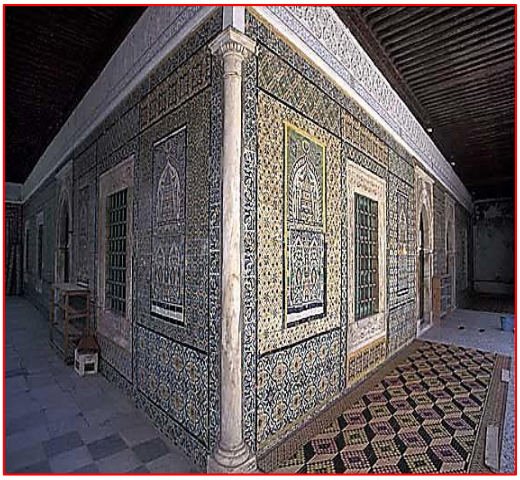

(عن موقع انترنت http://bedaya.tv/FORUM/t204647.html)

شكل رقم 6 / يوضح محراب جامع قرجي

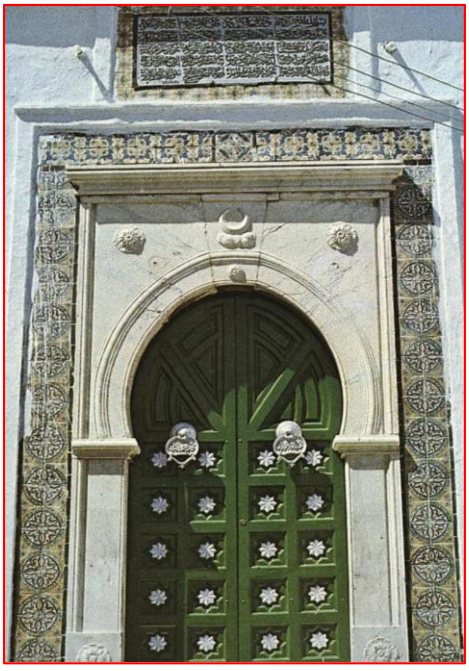

(عن كتاب تاريخ معمارالجامع في ليبيا في العهد العثماني والقرامانلي)

شكل رقم 5 / يوضع مدخل جامع قرجي

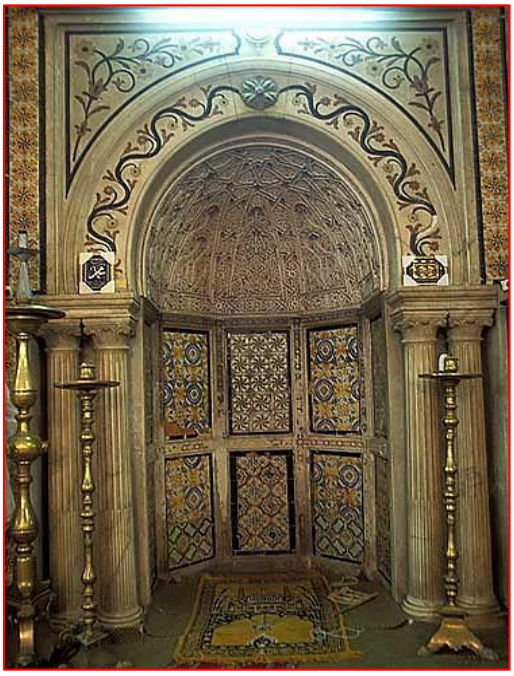

(عن كتاب تأملات في المعمار الاسلامي في ليبيا)

ب : جامع أحمد باشا القرمانلي : بنى هذا الجامع أحمد باشا القرمانلي مؤسس الأسرة القرمانلية وقد تولى حكم طرابلس سنة 1711 م وتم بناء هذا الجامع في الأعوام 1737 – 1738 م حسب التواريخ التي تحف قاعة الصلاة وهو التاريخ نفسه مكتوباً عند باب المئذنة وعلى الأعمدة الخارجية المواجهة لسوق المشير . ويعتبر هذا الجامع الذي يرجح انه بني على أنقاض جامع عمرو بن العاص من اكبر الجوامع الموجودة بطرابلس واغناها زخرفة .[8] ، ويعد هذا الجامع أول جامع عثماني ليبي وضع له برنامج كامل لزخرفته بكل أنواع الزخارف ، بكل مواد الزخرفة في جميع أجزائه وجدرانه من الداخل والخارج ، فجدران بيت الصلاة والضريح قد كسيت ببلاطات القاشاني* ذات ألوان الواحد والمتعدد ، ويصل ارتفاع هذه البلاطات من سطح الأرض إلى ارتفاع حوالي أربعة أمتار.[9] وتنوعت الخامات المستخدمة ، فمنها الحجرية والرخامية والخشبية والمعادن والجص . والاشكال رقم (7 - 8) توضح جوانب من الجامع .

شكل رقم 7/ يوضح المظهر الداخلي لجامع احمد باشا القرامانلي

(عن موقع انترنت https://ar.wikipedia.org/wiki/)

شكل رقم 8/ يوضح المظهر الخارجي لجامع احمد باشا القرامانلي

(عن موقع انترنت https://ar.wikipedia.org/wiki/)

2- **الأســـــواق :** لعبت الاسواق دورا كبيرا في حيوية المدينة حيث الحركة النشطة ، مع التصميم المعماري المميز ، حيث تظهر الاسواق بتصميم منسجم في الاحجام والارتفاعات والزخارف .

أ ـ سوق المشـــــــير: قام الوالـــي المشـــــير "رجب باشا " بتشييد هذا السوق أثناء توليه حكم ولاية طرابلس بين سنتي 1906 – 1908م ، وسمى باسمه.[10] ، ويبتدئ من فتحة باب هـــــوارة جنوب شرق وينتهى بقرب برج الساعة شمال غرب وهو سوق مفتوح وأحد أضلاعه مستحدث في العهد الإيطالي أما الضلع الأخر فتوجد به عدة مداخل، مدخل لفندق الزهر, ومدخل لسوق الكتب ومدخل لسوق الرداوات (الرباع

القديم), ومدخل لجامع أحمد باشا القرمانلى يتقدمه رواق معمد ، ومدخل لسوق العطارة وخمسة مداخل لسوق الصناعات التقليدية، ويطل منفذه على شارع السرايا من الناحية المقابلة وهذا السوق ما يزال قائماً إلى الوقت الحالي.

وأهم المعالم الموجودة في هذا السوق : فندق الزهر ، وكان يستعمل في بيع الزهور ويستخدم للمبيت, أي : متخصص في الأنشطة ذات العلاقة بالنباتات الطبيعية والأعشاب الطبية ومستلزمات الحدائق وتسويق الزهور، وجامع أحمد القرمانلى الذى أنشئ في عهد أحمد القرمانلى شيد في موقع جامع الشعرة القديم وعمرو بن العاص وبرج الساعة في نهاية السوق.

ويستخدم لتسويق جميع الأشياء من مواد غذائية إلى الملابس والخردوات والأقمشة ومازال هذا السوق محتفظاً بنفس التخصص السابق ويعتبر من أنشط الأسواق في المدينة القديمة ، وكانت الأغلبية الساحقة من التجار في السابق من اليهود مع وجود تجار ليبيين الذين كانوا يبيعون الملابس في هذا السوق في الفترة العثمانية الشكل رقم (9) يُوضّح مظهر عام للسوق.[11]

شكل رقم 9/ يوضح المظهر العام لسوق المشير

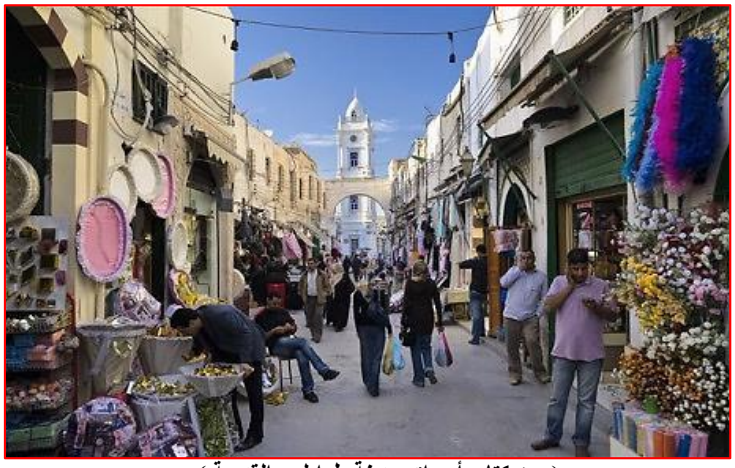

(عن كتاب أسواق مدينة طرابلس القديمة)

ب : سوق القزدارة

وهو سوق حرفي للأواني النحاسية وتسويقها وجلى وتبييض الأواني النحاسية بالقزدير, ويقع هذا السوق بميدان الساعة والقزدارة نسبة إلى مادة القصدير الذى يستعمل في جلى الأواني وتجديدها حتى يتم استعمالها ويتم في هذا السوق صناعة الأواني النحاسية كالقدور والأطباق والحلل الكبيرة (القصاع).

والأدوات النحاسية التزيينيه كمصبات القهوة والأباريق النحاسية ومناقل الفحم ، وهذه الحرفة تحتاج إلى كثير من الجهد والهدوء ومتانه الأعصاب وقدرة عالية على التحمل والصبر فما إن تدخل هذا السوق حتى تصم أذنيك أصوات المقارع الخشبية والمعدنية تدق فوق الصفائح النحاس بإيقاع مزعج يشبه الطنين. فالدكاكين متراصفة ومتلاصقة بعضها ببعض وهو من الأسواق التصنيعية ولم يزل قائماً حتى الآن .[12] الشكل رقم (10) يوضح مظهر عام للسوق.

شكل رقم 10/ يوضح سوق القزدارة

(تصوير الباحث)

3 ــ الفنادق : ان التأثير على الزبائن في اختيار الفندق المميز له الدور الكبير بدون شك في الاهتمام بتصميمها وتزيينها وزخرفتها .

أ **: فندق زميت الضفايرى :** يقع في منطقة باب البحر و بالتحديد في مواجهة (Arch Marcus Aurelos) قوس ماركوس أوريليوس *، و بالقرب من جامع قرجي شيد هذا الفندق يوم الجمعة الموافق 3 محرم سنة1246هـ-1831 على يد السيد أحمد الغفايرى الذي يعد من أكبر التجار القوافل في ليبيا والذين كانت لهم تجارة مع أواسط إفريقيا والذي يعتبر المالك الأصلي له ثم آل هذا الفنـــــدق في العهد الايطالي للسيد رميت الكاتب العمومي للسيد احمد الضافيرى وإلية يعود تسميته الفندق .[13]

الفندق ذو واجهة ضخمة ، والمدخل له باب خشبي كبير ذو عقد دائري تعلوه زخارف جصية هندسية نباتية و تعلوها حلية معمارية بارزة وبالواجهة لوح تذكاري رخامي دونت علية كلمات ترحب بالضيوف من نزلاء الفندق ، كما توجد على جانب المدخل خمس غرف استخدمت كمحلات تجارية يؤدى الباب إلى سقيفة مستطيلة سقفها قبوي متقاطع محمول على ثلاثة عقود كبيرة، وعلى يمين الردهة غرفتان، وعلى يسارها سلالم حجرية وتؤدى السقيفة إلى فناء مربع الشكل محاط بأربع أروقة تتقدمها بواكي لكل منها ثلاثة عقود محمولة على أعمدة بتيجان ، أما الدور الأول فيحتوى على أربع أروقة سقفها خشبي محمول على أعمدة بتيجان ومحاط بخمس وعشرين غرفة ذات تسقيف قبوي برميلي [14] ، شكل (11-12) يوضح بعض زوايا الفندق.

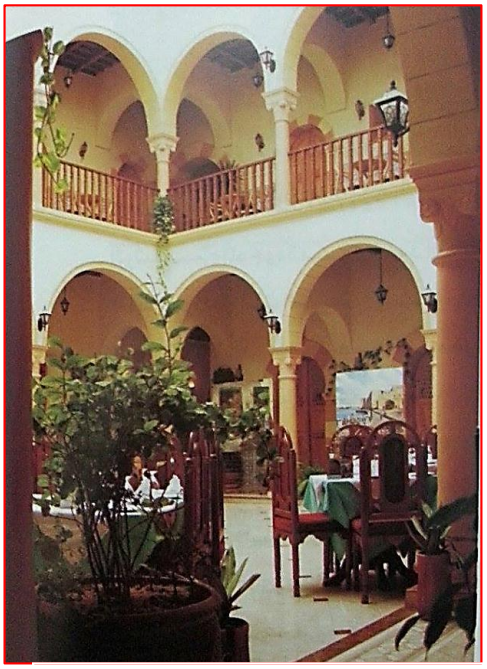

شكل رقم 11 / وسط فندق زميت الضفايرى
(عن كتاب فنادق مدينة اطرابلس القديمة)

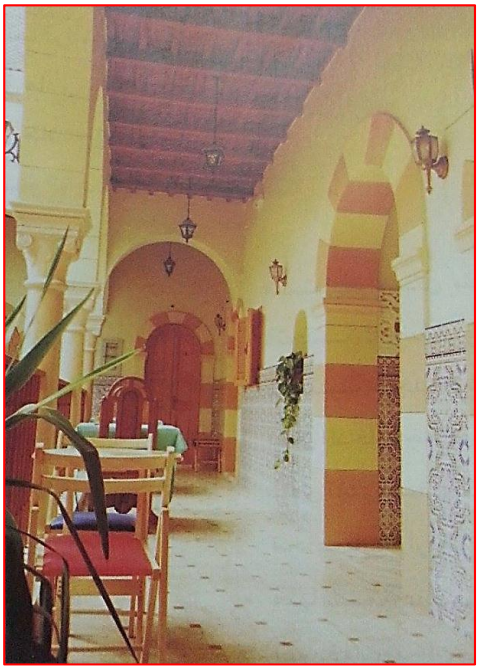

شكل رقم 12 / ممر بفندق زميت الضفايرى
(عن كتاب فنادق مدينة اطرابلس القديمة)

ب : **فندق الزهر(قرجى) :** يقع هذا الفندق في شارع سوق المشير، وتحديدا بين شارعين متوازيين هما شارع سوق المشير و شارع سوق الفرامل (الرقيق) الممتد من سوق الترك ، وبالقرب منة شرقا برج الساعة وجامع أحمد باشا القرامانلى غربا ، قام بتشييده الوجيه مصطفى قرجى ، الذي يعود له الفضل في بناء أضخم وأغنى جامع من الناحية الزخرفية المتعددة التأثيرات المتداخلة والذي يحمل أسمة(جامع قرجى)، والفندق

هو وقف لأبنائه من بعدة، ترجع تسميته بفندق الزهر لأنه كان مخزنا لتخزين الأحمال الفواحة من أزهار البرتقال و الحناء و العطر لتقطير مائها العطري وتصديره إلى استنبول وأزمير سابقا.

يفتح المبنى على سوق المشير بمدخل كبير الحجم له باب بوخوخة، و المدخل ذو عقد دائري تعلوه حلية معمارية بارزة (قرنيزة) و يؤدى هذا الباب مباشرة إلى سقيفة مستطيلة ذات تسقيف قبوي متقاطع محمولة على عقدين، و بالسقيفة سلم حجري جهة اليسار يؤدى إلى الدور الأول و تؤدى السقيفة إلى فناء مستطيل تحيط به ثلاثة أروقة تتقدمها بواكي محمولة على أعمدة من الحجر الجيري ذات تيجان منوعة ، ويلاحظ بالفناء وجود رواق رابع تم طمسه واستغلت غرفة والرواق كمحلات تجارية تطل على سوق الفرامل ويحتوى الدور الأرضي للفندق على تسعة عشر غرفة ذات تسقيف قبوى متقاطع و كذلك الأروقة أما الدور الأول فيحتوى على أربعة أروقة تتقدمها بواكي محمولة على أعمدة ذات تيجان والأروقة سقفها خشبي ومحاطة بثمانية وعشرين غرفة بعضها سقفها قبوي وبعضها ذات سقف خشبي وتنتهي واجهات الدور الأول الأربعة بحلية معمارية كبيرة وبسيطة الشكل[15] .

شكل توضيحي رقم (13).

شكل رقم 13 / فندق الزهر(قرجى)الفناء الداخلي للفندق ، حيث تزينه تشكيلات ناتجة عن الاقواس الكاملة للرواق

(عن موقع https://www.pinterest.com/pin/)

4 : المنشآت الحكومية: تنوعت المنشآت الحكومية في فترة الحكم العثماني والقرمانلي في ليبيا ، فمنها على سبيل المثال الحصون والمعسكرات والقنصليات ، ولما تحمله هذه المنشآت من اهمية دبلوماسية لدى مسؤوليها فقد اهتم بها المصمم المعماري لإظهارها بالشكل اللائق .

أ : السرايا الحمـــــراء : السراي الحمراء أو قلعة طرابلس وهي من أهم معالم مدينة طرابلس في ليبيا، وقد سميت بالسراي الحمراء لان بعض أجزائها كانت تطلى باللون الأحمر .وتطل على شارعي عمر المختار والفتح. وهي تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة طرابلس القديمة، وتشرف على مينائها، وبحيرة السراي الحمراء "والتي كانت في السابق بحرا قبل أن يتم ردمه في السبعينيات"، الأمر الذي مكنها قديما من حماية المدينة والدفاع عنها برا وبحرا. وقد تعرضت القلعة إلى تغييرات واضافات كبيرة في عمارتها، حسب ذوق ومتطلبات كل حكم، وتبلغ مساحتها (1300 م2) وتبلغ أطوال أضلاعها : من الشمال الشرقي (115م) ومن الشمال الغربي (90م) ومن الجنوب الغربي (130م) ومن الجنوب الشرقي (140م) ويبلغ أعلى ارتفاع لها (21م.) ، بنيت قلعة طرابلس على بقايا مبنى روماني ضخم، ربما كان أحد المعابد أو الحمامات الكبيرة، حيث عثر أسفل الطريق الذي كان يخترق القلعة من الشرق إلى الغرب على بعض الأعمدة والتيجان الرخامية الضخمة التي تعود إلى القرن الأول أو الثاني الميلادي، استولى الأتراك على القلعة سنة 1555م، وقاموا بعدة اضافات بها، وحوّل (مراد آغا) الكنيسة التي كانت داخل القلعة إلى مسجد، واتخذ الولاة الأتراك القلعة مقرا لهم ولأسرهم، وعندما استقل أحمد باشا القره مانلي بحكم البلاد في سنة 1711م بذل هو وأسرته اهتماما خاصا بالحصون الدفاعية، وتضم القلعة في العهد القره مانلي بناء خاصا لحاكم طرابلس به قاعة فسيحة يستقبل فيها الوفود وقناصل الدول الأجنبية، وكانت بالقلعة أيضا دار لسك العملة، وديوان القضاء، وصيدلية حكومية، وبعض المخازن والسجون والمطاحن . [16] كما بالشكل (14)

شكل رقم 14 / صورة توضح مبنى السرايا الحمراء ، والتي تمثل حصن لمدينة طرابلس القديمة ـ بالمدينة القديمة ـطرابلس

(عن موقع انترنت #https://geolocation.ws/v/P/67424740/-/en)

ب : مبنى القنصلية الفرنسية :

أن كتلة المبنى عبارة عن مزيج بين العمارة العثمانية والعمارة المحلية وهى نموذج متناغم التفصيلات ذو دقة فريدة في التصميم بحيث احتضنت الجمال المعماري العثماني مع الخصوصية المحلية , لاسيما باتخاذه العناصر المتجانسة القديمة مع ما فرضته متطلبات الوظيفة القديمة والحديثة, وهى الفناء ودار القبو والأروقة المحمولة على أعمدة رخامية والسلالم الرخامية الشرفية والشرفات والأسقف , وقد انسجمت هذه العناصر بالموقع المتميز المطل على البحر فأعطى للمبنى خصوصية تتسم بالعمارة الفريدة والإحساس بالجمال الطبيعي.

امتاز المبنى بوجود مدخل ذي واجهة جميلة ومتناسقة وشاهقة الارتفاع وهو ذو عقد نصف دائري تعلوه زخرفة حديدية ضوئية وتنتهى بقرنيزة جصية بسيطة الزخرفة, وعند أول نظرة للباب الخشبي المتناسق التشكيل تتركز نظرة المشاهد "للطقطاقة" النحاسية الشبة دائرية الجميلة, فتترجم النظرة إلى ضرورة التجريب, فتقوم فوراً بتجريبها لتسمع إيقاعها الجميل ذو الرنة العالية.

يفتح هذا الباب على سقيفة تبلغ مساحتها الكلية (12.48م^2) وسقفها خشبي مسطح تدعمه القناطر والمراتك الخشبية, ويفصل عن السقيفة الثانية مدخل ذو عقد مدبب له

باب خشبي مستطيل تعلو تشبيكه خشبية على هيئة نصف دائرة بها لوحات زجاجية ملونة وعلى يمين الداخل توجد حجرة مساحتها (9.74م^2) لها سقف خشبيي مسطح ولها نافذة صغيرة تطل على زنقة الفرنسيس, قد خصصت هذه الحجرة في التوظيف الجديد لتخزين المطبوعات ومبيعات المبنى , وهى حالياً مستغلة كحجرة نوم لغفير المبنى [17]، والشكل (15) يوضح جزء من مبنى القنصلية .

شكل رقم 15 / يوضح جزء من مبنى القنصلية

(عن كتاب مبنى القنصلية الفرنسية بطرابلس)

التكوينات الزخرفية بالمنشآت المعمارية وخاماتها : تعددت الخامات والمواد المستخدمة في زخرفة التكوينات المعمارية بالعهد العثماني بليبيا ، فاستخدمت مواد اساسية بالبناء والزخرفة مثل الحجارة والرخام والخشب ، ومواد في التجميل مثل البلاطات الخزفية والجص والزخارف في الاعمال الخشبية والمعدنية والزجاج الملون ، وهنا يمكن عرض عينة من هذه الخامات وزخارفها .

1 . الزخارف الرخامية والحجرية : عند تتبـــــع تطور الأسلوب الزخرفي في المعمار الديني والمدني في القرن السادس عشر والسابع عشر يتضح أن المباني التي شيدت في هذه الفترة تحوى بعض العناصر الزخرفية المحفورة والمنحوتة على الرخام والحجر. فهي تتمثل في وجود زهـــــــــرة محزوزه في كوشتي عقد المدخل الرئيسي ، وعقد مدخل بيت الصلاة وفى الإطار الخارجي لمثل هذه المداخل وفى بعض الأحيان يوجد عنصر الهلال يتوج عقود المداخل, بينما يوجد في بعض الأمثلة الأخرى أن كوشتي العقد قد كسيتا ببلاطات القاشانى ذات اللون الواحد أو المتعددة الألوان ، ويلاحظ أيضاً

أن مثل هذه الزخرفة التي استخدمت على مداخل الجوامع وبيوت الصلاة ولاسيما المداخل الذى يواجه المحراب تنعكس على تفاصيل المحراب الزخرفية ، والاشكال التوضيحية (16-17-18) .

شكل رقم 16 / بوابة لجامع شائب العين ، تظهر بها زخارف حجرية بارزة .

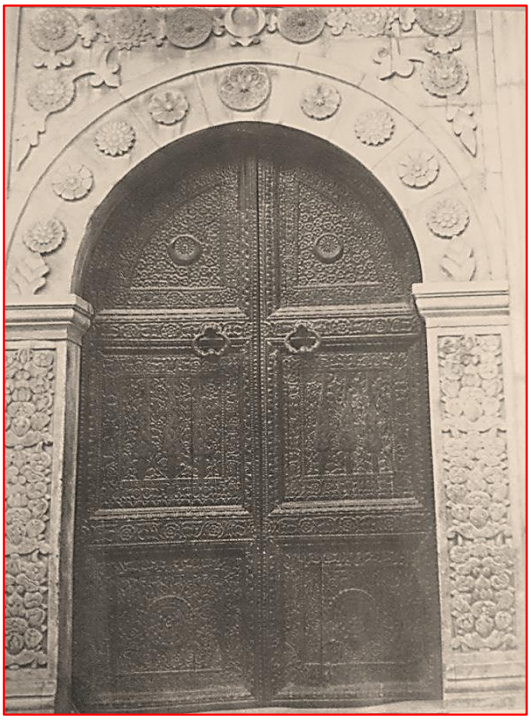

(عن كتاب تأملات فى المعمار الاسلامى فى ليبيا)

شكل رقم 17 / بوابة لجامع قرجي توضح عينة من الزخرفة على الرخام

(عن كتاب تأملات في المعمار الاسلامي في ليبيا)

شكل رقم 18 / نماذج لبعض العناصر الزخرفية المستخدمة بزخرفة الحجر والرخام .

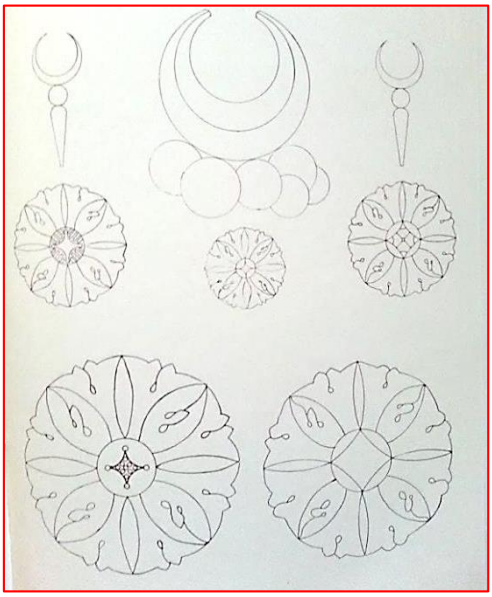

(عن كتاب الزخارف على المداخل والابواب والنوافذ)

2. الزخارف الجصية : إن هذا النوع من الزخارف هو أهم الفروع التي تميز العمارة الإسلامية، وذلك لارتباط هذه الزخرفة بمادة هي لصيقة بفن العمارة أكثر من غيرها من المواد الداخلة في البرامج الزخرفية، التي تعد لأي مبنى ديني أو مدني ، أما بالنسبة الى استخدام الزخارف الجصية في المعمار الإسلامي في ليبيا فلابد من الاعتراف بأنها اقل أقطار الشمال الأفريقي استخدما للزخارف الجصية، غير أن هذا لا يعنى أنه لا يوجد صروح معمارية رائعة والتي حظيت بقسط كبير من الزخارف الجصية. وأهم المنجزات المعمارية الدينية الباقية، التي تظهر فيها الزخرفة الجصية بشكل مكثف وعلى نطاق واسع هو جامع أحمد القرمانلى، وجامع مصطفى قرجى بمدينة طرابلس القديمة فقد كسيت جدران بيت الصلاة في كلا الجامعين. وكذلك قبلهما و قباب وجدران الأضرحة الملحقة يهما بزخارف جصية تمثل قمة الإبداع الفني والزخرفي ، وتتكون هذه الزخارف في هذه المباني من تشكيلات وتصاميم مختلفة، منها النباتية المتشابكة والمتداخلة بأسلوب تماثلي وبعضها مصحوب بزخارف هندسية وعناصر معمارية، عبارة عن عقود على شكل حدوة الفرس والعقود التؤامية، وعقود المقرنصات والعقود المفصصة والمتداخلة، وتملأ المساحات بين أعمدة هذه العقود وفتحاتها بكل أنواع العناصر الزخرفية المذكورة أعلاه كما نشاهد المزهريات ذات التوريق الملتوي و

الأغصان والإزهار التي تخرج منها لملآ مساحات كبيرة على الجدران أو تصمم أصلا لوضعها في مكان محدد من المبنى .

تعتبر الزخارف الجصية التي تكسى المساحات الداخلية لعشرات القباب الموجودة في الجوامع والأضرحة بالمدينة القديمة و بطرابلس قمة في الإبداع الفني والزخرفي.[18] اشكال (19 – 20 -21)

شكل 19/ صورة توضح الزخارف الجصية بمحراب جامع درغوت باشا

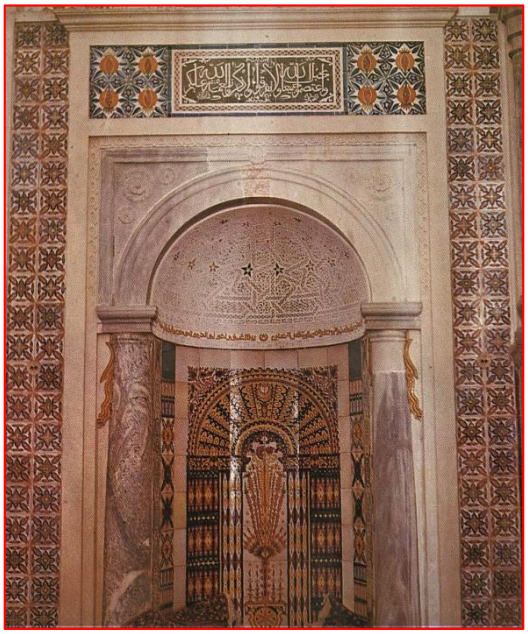

(عن كتاب تأملات في المعمار الإسلامي في ليبيا)

شكل 21/ صورة توضح عناصر زخرفية جصية

شكل 21/ صورة توضح عناصر زخرفية جصية

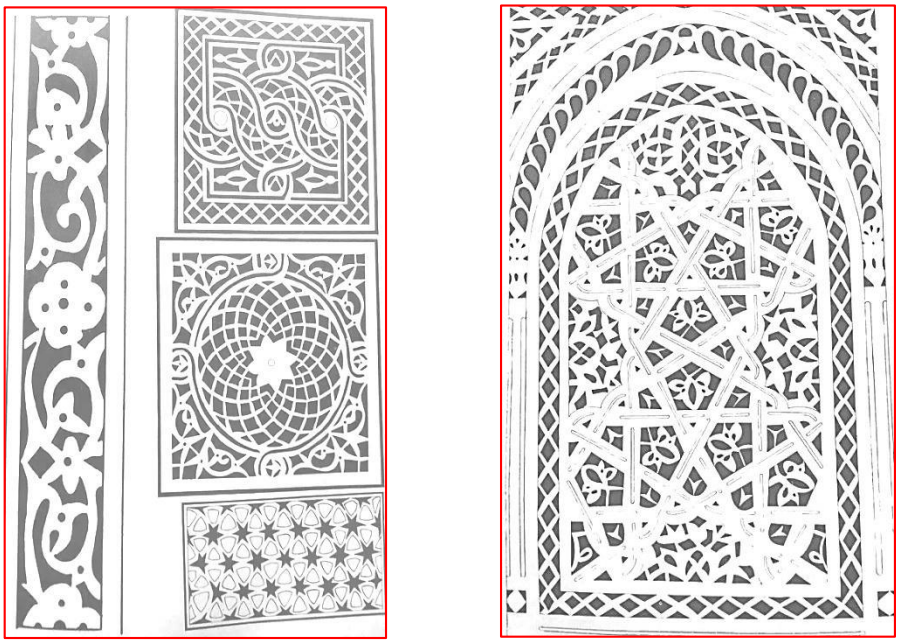

(عن كتاب الزخارف الجصية)

ـ **زخرفة البلاطات الخزفية :** دخلت البلاطات واللوحات الخزفية في زخرفة المعمار الديني والمدني في القرن السابع عشر و الثامن عشر والتاسع عشر الإفرنجية وأصبحت من الملامح المميزة للعمارة العثمانية في ليبيا في هذه الفترة و يمكن تقسيم اللوحات الخزفية التي استخدمت في تكسيه بعض الجوامع و البيوت والقصور والأضرحة في ليبيا، بحسب تقسيمها ونوع زخرفتها إلى الأنواع الآتية : لوحات خزفية يشتمل تصميمها الأساسي على عنصر الفازة أو المحبس والتي منها يخرج توريق ملتو متعرج، يحمل أزهارا أو عناصر نباتية أخرى تملا خلفية اللوحة بالكامل والتي تمثل أما عقد حدوه الفرس أو مستطيلا أو مربعا ، وهناك نوع آخـــر من اللوحات الخزفية التي تشمل كتابة نسخية تملآ خلفية عقد من نوع حدوه الفرس، و الذي في قسمة الأعلى رسم بناء بقيمة لوحات خزفية مرسومة عليها عقد حدوه الفرس، و في مثل هذه الحالة فان القسم الأعلى منه يشغله رسم بناء يقيمه. بينما القسم الأسفل منة يشغله عقدان تؤامان من نوع العقد المفصص و المدبب، و تملا خلفية هذين العقدين عناصر نباتية. ومن بعض هذه اللوحات الخزفية تمثل عنصر النافورة و المياه المتدفقة منها وقد رسم على هذه النافورة طائران متقابلان . وبعض المباني الدينية والمدنية التي كسيت بالبلاطات واللوحات الخزفية جامع أحملا القرمانلى ،حيث يعد هذا الجامع أول جامع ليبي وضع له برنامج

كامل لزخرفته بكل أنواع الزخارف، وبكل مواد الزخرفة في جميع أجزائه و جدرانه من الداخل و الخارج فجدران بيت الصلاة و الضريح قد كسيت بلاطات القاشانى ذات اللون الواحد أو المتعددة الألوان و يصل ارتفاع هذه البلاطات من سطح الأرض إلى حوالي أربعة أمتار، يبدأ بعضها شريط من الكتابة و شريط من الزخارف الجصية الذي يلف حول جدران بيت الصلاة من الداخل و الخارج، و كذلك الحال بالمسبة إلى الضريح الملحق بالجامع .[19] اشكال توضيحية رقم (22-23-24)

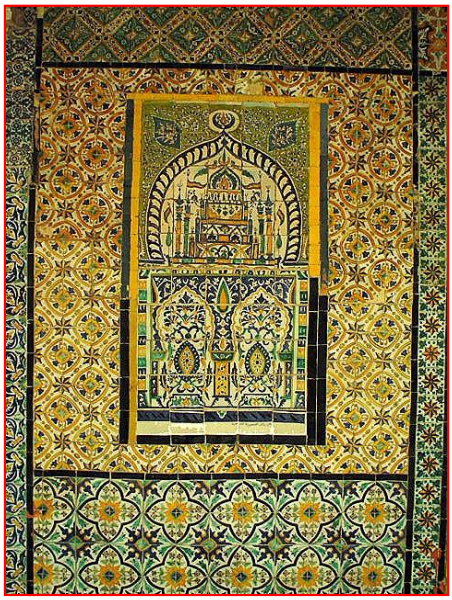

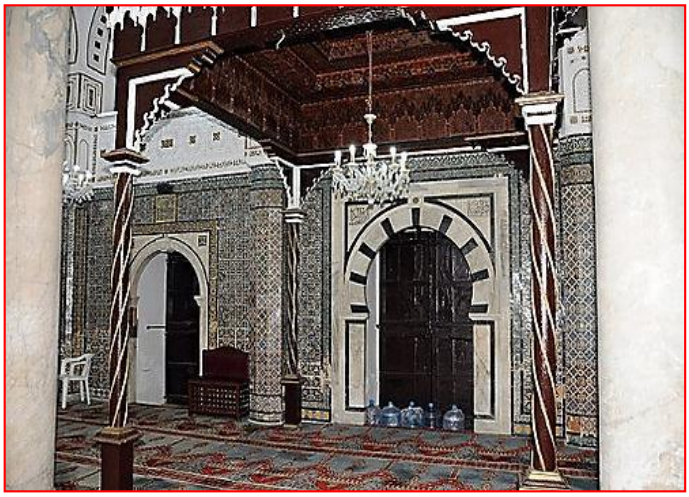

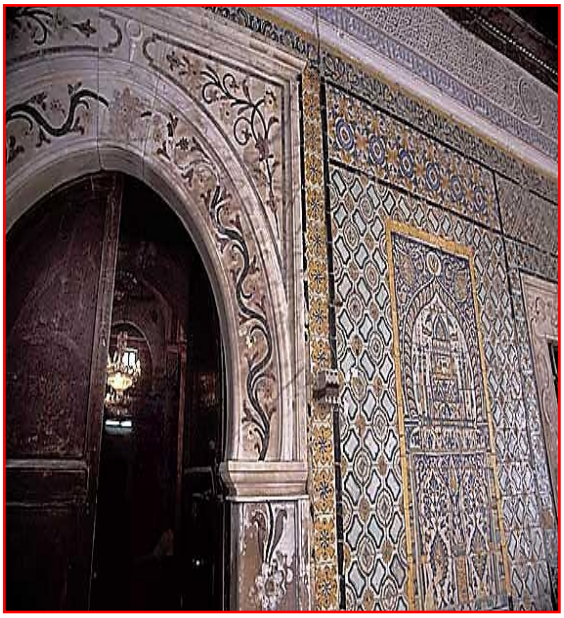

4 . الزخارف في الاعمال الخشبية والمعدنية : إن الزخارف على الخشب سواء أكان منها المنحوت أم المحفور ام المدهون قد دخلت في زخرفة المعمار العثماني بليبيا الديني، و المدني ، كثرت الزخارف الخشبية على الابواب والنوافذ بالمنشآت المعمارية ، اخذ شكل الفازة او المزهرية مكانا متميزا بأغلب المنحوتات وكذلك بعض الغصون والاوراق والورود ، بالإضافة الى الزخارف الهندسية وعنصر الهلال التي تأخذ الشكل الخارجي للباب او النافذة . والأسلوب الزخرفي المنفذ لهذه الأبواب الخشبية يحمل اتجاها نحو الواقعية و محكاه الطبيعة ، و مثل هذه الزخارف والأعمال الخشبية توجد في أسقف كثير من القصور و البيوت .

ومثل ما استخدمت الأعمال الخشبية في زخرفة المعمار الإسلامي العثماني بليبيا، فقد استخدمت كذلك المشغولات المعدنية في زخرفة الدور والبيوت والجوامع وغيرها من المباني المختلفة الوظائف والأغراض فالمشغولات المعدنية ذات علاقة إنشائية ووظيفية لصيقة و مكملة للمباني لتؤدي وظائفها على أكمل وجه، و قد جاءت كنتيجة لضرورة و وظيفية في المبنى.

فالمشغولات المعدنية توضع عادة لتسد الفتحات المختلفة في المباني، سواء في الداخل أو الخارج، مثل فتحات الشبابيك وكذلك الأجزاء العليا من المداخل، و هي المحصورة في شكل نصف دائرة بين فتحة العقد و الباب الخشبي، والأعمال المعدنية في هذه الأماكن تقوم بعدة وظائف في الوقت نفسه و علاوة على أنها تعطى لمسة جمالية

للمبنى بتشكيلاتها و زخارفها المتنوعة، فأن الفتحات تسمح بمرور الهواء و النور إلى داخل المبنى أو الحجرات والقاعات، دون إقفال الأبواب الخشبية لهذه الفتحات، و من جهة أخرى، تمنع المشغولات المعدنية في هذه الفتحات غير المرغوب في دخوله إليها. أما بالنسبة إلى الدرابزينات أو كما يطلق عليها في طرابلس القديمة "قرقطون" فهذه توضع عادة في البيوت والقصور والفنادق و غيرها من المباني التي تتكون من أكثر من دور، لآن الدرابزين الخشبي الممتد بين الأعمدة، والذي فيه أحيانا تشكيلات معدنية ذات تصاميم مختلفة، يحمى المستخدمين لهذه المباني من السقوط. وهكذا يلاحظ أن دخول الأعمال المعدنية، كمواد مكملة للمبنى ووظيفته، جاء كضرورة وظيفيه لا مناص منها، و أصبحت جزءا لا يتجزأ من مكونات المبنى .[20] اشكال رقم (25-26-27 - 28)

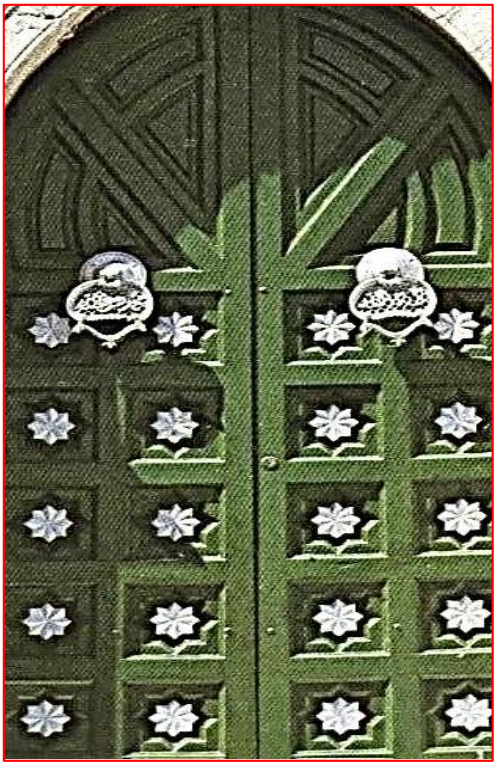

شكل 27 / تحليل لزخارف خشبية

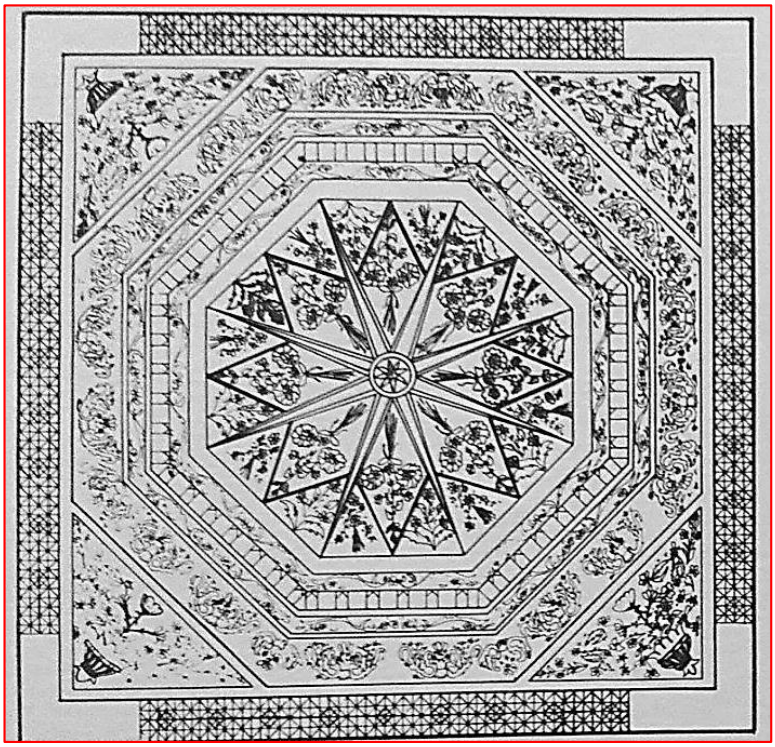

(عن كتاب الزخارف في الاعمال الخشبية والمعدنية)

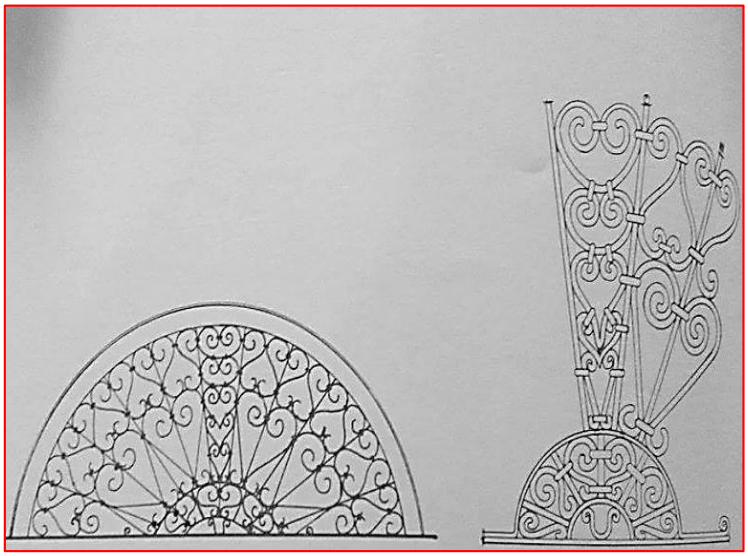

الاستنتاجات :

من خلال الدراسة وعرض البيانات وتحليلها توصلت الدراسة إلى

1- من خلال الدراسة تبين ان للتأثير الديني (الاسلامي) تأثير واضح في الانتاج الفني بالمعالم المعمارية بالعمارة العثمانية بليبيا حسب الوظائف المخصصة للبناء .

2- التنوع الكبير في التكوينات المعمارية بالعمارة العثمانية بليبيا .

3- أهداف البناء لها دور في التصميمات الجمالية وتحقيق اهداف المبنى جمالياً ووظيفياً.

4- التنوع في استخدام العناصر الزخرفية حسب الخامة المستخدمة واماكن تواجدها (داخلياً وخارجياً)

5- استخدام الخامات المناسبة المقاومة لعوامل التعرية بالمكونات المعمارية ساعد في جودتها واستمراريتها وعامل مهم في الاستدامة .

الهوامـــــــــــش :

1. الريحاوي عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية مركز النشر العلمي، جدة ، 1990 ، ص1 .

✱ .تعريف مصطلح حوش (ح و ش : حَاشَ الصيد جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة وبابه قال وكذا أَحَاشَهُ و أَحْوَشَهُ و احْتَوَشَ القوم الصيد إذا أنفره بعضهم على بعض واحتوش القوم على فلان جعلوه وسطهم و حَاشَ الإبل جمعها وساقها و انْحَاشَ عنه نفر / ينظر مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، مكتبة لبنان ،بيروت ، 1986 ، ص 68 ، وفي اللهجة الليبية المحلية تعني (البيت او المنزل) وانما اطلقت عليه لفظة حوش لأنه يجمع الناس ويضمهم .

2. احلام الطاهر ابوزيد ، دار القاضي (حوش الباشوات) ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ص 31 .
3. . احلام الطاهر ابوزيد ، سبق ذكرة ، ص 33 .
4. https://ar.wikipedia.org/wiki
5. علي الميلود عموره ، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الاسلامي ، دار الفرجاني للنشر ، طرابلس ، 1993 ، ص 353 .
6. جمعة احمد قاجة ، نفس المرجع السابق ، ص 516 .
7. على مسعود البلوشى وآخرون ، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، الجزء الثاني ،سبق ذكرة، ص 54 .
8. جمعة احمد قاجة ، موسوعة فن العمارة الإسلامية ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ،2000 ، ص 515 .

✱ . كلمة قيشاني لفظ مستمد من أسم المدينة الإيرانية قاشان التي تفوقت عن غيرها في صناعة التربيعات الخزفية .

9. على مسعود البلوشى وآخرون ، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، الجزء الثاني ،سبق ذكرة، ص ص 46 – 47 – 48 .
10. مفيدة محمد جبران ، وآخرون ، أسواق مدينة طرابلس القديمة – دراسة تاريخية واقتصادية ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ص 38 .

11. مفيدة محمد جبران ، وآخرون ، أسواق مدينة طرابلس القديمة ، سبق ذكرة ، ص ص 39 – 40 .
12. مفيدة محمد جبران ، نفس المرجع السابق .
* قوس ماركوس أوريليوس في مدينة طرابلس عاصمة ليبيا. هو قوس لتخليد ذكرى الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس، والذي حكم في الفترة بين عامي (161 - 180) / عن (طرابلس مدينة التاريخ والآثار المخبأة ، جريدة العرب ، تاريخ النشر 20 أبريل-2007 ، عن موقع انترنت (https://ar.wikipedia.org/wiki)
13. مفيدة محمد جبران ، فنادق مدينة اطرابلس القديمة ، ط 2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ص ص 22 – 23 .
14. مفيدة محمد جبران ، فنادق مدينة اطرابلس القديمة ، سبق ذكرة .
15. مفيدة محمد جبران ، فنادق مدينة اطرابلس القديمة ، ط 2 ، سبق ذكرة ، ص ص 25 -26 .
16. https://ar.wikipedia.org/wiki
17. مفيدة محمد جبران ، مبنى القنصلية الفرنسية بطرابلس ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ص ص 163 – 164 .
18. علي مسعود البلوش ، الزخارف الجصية ، مشروع تنظيم وادارة المدينة القديمة ، طرابلس ، ليبيا ، 1998 ، ص ص 4 – 7 .
19. علي مسعود البلوش ، اللوحات والبلاطات الخزفية ، مشروع تنظيم وادارة المدينة القديمة ، طرابلس ، ليبيا ، 1998 ، ص ص 4- 9 .
20. علي مسعود البلوش ،الزخارف في الاعمال الخشبية والمعدنية ،مشروع تنظيم وادارة المدينة القديمة ، طرابلس، ليبيا ، 1998 ، ص ص4 – 7 .